

## من صانع صفقات إلى دبلوماسي: توم باراك يثير ضجة في الشرق الأوسط

ترجمة وتحرير: نون بوست

وصل توم باراك لأول مرة إلى بيروت عام 1972، دون أي اتصالات أو حجز فندق، معتمدًا فقط على لهجة عربية قديمة تعلمها من أجداده.

كمحام أمريكي شاب في واحدة من أولى مهماته الخارجية، تم أخذه سريعًا على يد سائق تاكسي متحمس أطلع الشاب البالغ من العمر 25 عامًا على أنحاء البلاد، بما في ذلك قرية عائلته الأصلية.

وقد أثارت تلك الرحلة شعورًا عميقًا بالحنين، وربطت باراك بالمنطقة بشكل دائم، ليعود اليوم كسفير للرئيس دونالد ترامب لدى تركيا ومبعوث خاص لسوريا ولبنان.

كصديق ومستشار قديم لترامب، يجسد باراك الطريقة التي قلب بها الرئيس عقودًا من الممارسة الدبلوماسية، بملاء المناصب الحساسة في الشرق الأوسط بمقرين أثرياء ذوي خبرة دبلوماسية محدودة، لكنهم يتمتعون بمهارة عالية في صنع الصفقات.

وبعد خمسة أشهر من توليه المنصب، استطاع باراك، الذي يصف نفسه بفخر بأنه يحمل "تركيبة عاطفية هي الحمض النووي للمنطقة"، تحقيق مزيج غير معتاد من النجاحات والجدليات.



استعداد باراك النادر لانتقاد إسرائيل عزز العلاقات الأمريكية مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ساعدت جذوره المحلية، واتصاله الوثيق بترامب، واستعداده النادر لانتقاد إسرائيل علنًا، في تعزيز علاقاته مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان والسوري أحمد الشرع.

لكن، ورغم شخصيته الودودة، فإن أخطائه المتكررة – مثل وصفه السلام في الشرق الأوسط بأنه “وهم” وتحذيره الصحفيين في لبنان من ألا يكونوا “حيوانيين” – دفعت بعض النقاد لوصفه بأنه متعجرف وشرقي الطابع.

في سن الـ78، انتقد باراك تاريخ واشنطن في السياسة “الفاشلة”، مؤكداً أن مهمته لا تركز على حقوق الإنسان، بل على “الصفقات” التي تحقق “الأزدهار”، والذي يعتبره “الحل الوحيد”. كما أشار إلى أن المنطقة لم تعد مسؤولية الولايات المتحدة، داعياً دولها إلى “مساعدة أنفسهم”.

وقال لصحيفة فايننشال تايمز: نسخة محسّنة بصياغة أكثر سلاسة وأقرب للغة الصحافة الاقتصادية والسياسية: “لقد كنا ضمناً للأمن العالمي منذ الحرب العالمية الثانية. الأمور تغيرت... فكيف نصنع عالمًا أفضل؟ بجعل كل دولة تقف على قدميها بنفسها.”

وقد خيب هذا النهج آمال من كانوا يأملون أن يكون باراك “مبعوثاً خارقاً” للمنطقة، كما وصفه دبلوماسي غربي، قادراً على دفع حزب الله إلى نزع السلاح، والتوفيق بين أنقرة وأكراد سوريا، وبين دمشق وسكانها من الدروز.

وفي الوقت نفسه، منحت تصريحاته حول التاريخ العثماني وفشل اتفاقية سايكس بيكو 1916 سمعة له بأنه متحدث متعجرف ومبالغ. كذلك أثارت تصريحاته الأخيرة الخاطئة بأن “لا توجد كلمة عربية لـ ‘الخضوع’”، وزعمه بأن “لا يوجد شرق أوسط”، بل مجرد مجموعة من الجماعات العرقية والعائلات والعشائر والقبائل، جدلاً واسعاً.

وقال الدبلوماسي: “لقد فشل حتى الآن في تحقيق أي من المهام الرئيسية التي وضعها لنفسه بشأن سوريا ولبنان. كل ما يبدو أنه مهتم به هو التوسط في صفقات غامضة والمبالغة في الحديث عن القرن التاسع عشر.”

وُلد توماس باراك في عام 1947، وينتمي للطائفة المارونية المسيحية، ويصف نفسه بأنه نتاج “عائلة مهاجرة لبنانية متواضعة جداً” في لوس أنجلوس. وقال: “لم يكن أحد ليتوقع أبداً أنني سأخرج من كلية القانون، ناهيك عن أن أتمكن من القيام بما أفعله الآن.”

بدأ مسيرته كمحامٍ لدى مكتب هربرت دبليو كالمباخ، المحامي الشخصي لريتشارد نيكسون، ثم انتقل إلى وول ستريت حيث عمل مع أحد أبرز رجال النفط في تكساس روبرت باس، قبل أن يتحول إلى قطاع العقارات مؤسساً شركته الخاصة للأسهم الخاصة.

ارتفعت مكانته بشكل كبير بعد تنظيمه بيع فندق بلازا في نيويورك لترامب عام 1988 مقابل 408 ملايين دولار، وهو سعر اعتبره ترامب لاحقاً مرتفعاً، واضطر الرئيس المستقبلي لاحقاً لوضع العقار في الإفلاس وبيعه بحوالي 80 مليون دولار أقل من المبلغ الأصلي. ومع ذلك، نشأت بين الرجلين علاقة وثيقة تجمع بين الصفقات والصدقة.

في عام 2010، ساعد باراك صهر ترامب جاريد كوشنر في شراء نحو 70 مليون دولار من الديون المتعثرة على عقار تملكه شركة عائلية لكوشنر. وعندما ترشح ترامب لأول مرة للرئاسة، كان باراك من أبرز المتبرعين لحملته، وجمع مبلغاً قياسياً آنذاك بلغ 107 ملايين دولار كرئيس للجنة حفل التنصيب.

وفي عام 2019، كشفت تحقيقات الكونغرس أنه ضغط على إدارة ترامب الناشئة لمشاركة تكنولوجيا الطاقة النووية مع السعودية، بينما كان يخطط في الوقت نفسه مع السعوديين لشراء شركة قد تريح من هذه الخطوة، إلا أن الصفقة لم تكتمل في النهاية.

في عام 2022، تم تبرئة باراك من تهمة الضغط غير القانوني نيابة عن الإمارات

أدى التحقيق في نهاية المطاف إلى محاكمة باراك بتهم ممارسة الضغط غير القانوني نيابة عن الإمارات العربية المتحدة، حيث لطالما كانت له علاقات وثيقة مع النخبة الحاكمة هناك. وقد نفى باراك أي سوء تصرف، وأصدرت المحكمة حكماً ببراءته عام 2022.

ويقول المقربون من باراك وترامب إنه حافظ على خط مباشر مع الرئيس، وأنه من بين القلائل الذين يطلب ترامب نصيحتهم بانتظام، كما أنه من بين القلائل الذين انتقدوا الرئيس علناً وبقوا ضمن دائرته المقربة. ومع ذلك، يرفض باراك أي تلميح بأنه وترامب أقران، وقال لصحيفة فايننشال تايمز: "صادف أن دونالد ترامب كان صديقاً لي منذ 45 سنة. أنا أقدره. لا أجادله. إنه الرئيس".

على الرغم من كونه سفيراً لدى تركيا، يقضي باراك وقتاً قليلاً في البلاد، ويرجع ذلك بشكل كبير إلى مسؤولياته المتعلقة بسوريا ولبنان. وحتى عندما يكون في تركيا، نادراً ما يقيم في أنقرة، مفضلاً إسطنبول، وغالباً ما يقضي معظم وقته على متن الطائرة.

وقال دبلوماسي مقيم في أنقرة: "نادرًا ما يكون في المدينة. إنه أشبه بطيار فضاء، في الطبقة العليا من الغلاف الجوي".

يقول باراك إن اجتماع الشهر الماضي في البيت الأبيض بين دونالد ترامب وأردوغان كان محور رغبة ترامب في منح الرئيس التركي الشرعية

على الرغم من أن نهجه غير التقليدي خرق البروتوكولات الدبلوماسية المعتادة، يشير المسؤولون الأتراك والأمريكيون إلى أن المشاركة المؤسسية اليوم أعمق مما كانت عليه خلال رئاسة بايدن. وفي الشهر الماضي، لعب باراك دور الوسيط في زيارة أردوغان إلى البيت الأبيض، حيث بحث الزعيمان سلسلة من الصفقات في مجالات الطاقة والدفاع وغيرها.

وأشار باراك إلى أن الاجتماع كان محور رغبة ترامب في منح أردوغان "الشرعية"، رغم أنه من غير الواضح ما إذا كان ذلك يعني التغاضي عن تراجع الديمقراطية في تركيا، أو توتر علاقاته أحياناً مع أوروبا، أو عدم شعبيته في واشنطن.

ومن بين العلاقات الأبرز التي بناها باراك، علاقته مع أحمد الشرع السوري، الذي ينسب إليه الفضل في المساعدة على حشد الدعم العالمي لإدارته الجديدة ورفع العقوبات الأمريكية عن سوريا.

وقال باراك: "شعرت أنه يجب منح الشرع فرصة. فلا يمكن خلق الازدهار أو بث الأمل بين الناس دون ضخ الطاقة اللازمة".

ينسب أحمد الشرع السوري إلى باراك المساعدة في حشد الدعم العالمي لإدارته الجديدة السؤال المحوري هو ما إذا كانت علاقة باراك بترامب، وعقليته في صنع الصفقات، وأصله المحلي، قادرة على بدء حل القضايا الإقليمية المستعصية، التي وصفها بأنها تمنحه "صداع شديد يعادل تأثير ثلاثة أقراص من تايلينول"

وبالمقارنة مع عمله كممول، وصف دوره الحالي بأنه "مئة ضعف من العمل، ومئة ضعف من الإثارة الفكرية، ومئة ضعف من المخاطر الجسدية". وأضاف: "تقريبًا كل يومين، تلوح جهة، يُعرف اسمها باختصار ثلاثي الحروف، بسيف الاستهداف ضدي".

وأضاف أنه يدرك أن نهجه يحمل شيئًا من الحنين إلى الماضي، وهو أمر يحرص على "تجنبه تمامًا"، لكنه يحوّل هذه الحساسية إلى قوة ليؤكد لخصومه: "لن تستطيعوا استخدامي كما استخدم الآخرون خلال الخمسين سنة الماضية".

وفي المقابل، يرى بعض المقربين منه أنه يبالغ في إبراز أصله الشامي، معتبرًا أن ذلك يمنحه الحق الداخلي في انتقاد العرب الآخرين.

ويحمل باراك في كثير من النواحي نظرة متشائمة تجاه المنطقة، وقال: "في نهاية المطاف... جميعنا، جميع الناس العاديين على الأرض، نريد السلام". لكنه استدرك: "هل هذا حقًا ما يسعى إليه الكون؟ على الأرجح لا."

لقد دفعته الواقعيات الميدانية إلى التراجع عن مواقفه المبكرة. فقد تذبذب في موقفه بشأن تشديد التعامل مع حزب الله. أما بالنسبة لسوريا، فقد صرح في يونيو/حزيران بأنها يجب أن تكون دولة مركزية قوية، بما يتوافق مع رغبات تركيا، لكنه بعد شهرين أوصى بـ "شيء أقل من الاتحاد الفدرالي".

وأوضح لصحيفة فايننشال تايمز: "ليست مهمة أمريكا أن تُجبر أيًا من هذه الدول على البقاء بصيغة معينة. سيجدون صياغتهم الخاصة. هل ستصبح سوريا لامركزية؟ على الأرجح. هل ستقيم علاقة مع إسرائيل؟ نأمل ذلك. وهل ستحتفظ بمنطقة عازلة مع تركيا كما هو الحال اليوم؟ بشكل مناسب. لكننا لا نفرض أيًا من ذلك."

أما في مجال إسرائيل، فقد حدّد باراك مواقفه بوضوح. فقد وصف الوضع بأنه "مشكلة" لأن "إسرائيل تهاجم الجميع"، معبرًا عن عدم ثقته بالحليف التقليدي للولايات المتحدة. وقد أثارت تصريحاته انتقادات وعراقيل من المؤسسة المؤيدة لإسرائيل في واشنطن، فيما طالبت الناشطة المؤثرة في حركة "ماغا"، لورا لومير، بعزله.

ومع ذلك، يرى باراك غير التقليدي أن لإسرائيل، وقدرتها على التوصل إلى تهدئة مع جيرانها، دورًا محوريًا في استقرار المنطقة. وقد اقترب هذا الاحتمال من الواقع هذا الشهر مع خطة ترامب للسلام في غزة، وبالتالي تحقيق حلم باراك المتواضع في منطقة الشرق الأوسط "أفضل قليلًا مما وجدتتها".

المصدر: فاينانشال تايمز